



[اللقاء ٣٩ من لقاءات مركز تفسير للدراسات القرآنية التي تنعقد في الثلاثاء الأخير من كل شهر عربي بديوانية الأستاذ عبد الله الشدي بحي النفل بشمال مدينة الرياض بالمملكة العربية السعودية.

ضيف اللقاء معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية]

معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ

حفظه الله تعالى

النُّسخة الإلكترونية (١)

الشيخ لم يراجع التفريع

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ

د. عبد الرَّحْمَنُ الشهري: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

حياكم الله أيها الإخوة في هذه الليلة الكريمة..

واليوم هو يوم الثلاثاء ٢٦ من شهر جمادى الأولى من عام ١٤٣٦ للهجرة، وهذا هو اللقاء ٣٩ من لقاءات مركز تفسير للدراسات القرآنية.

هذا اللقاء العلمي الذي يستضيف نخبة من أهل العلم في الدراسات القرآنية للحديث عن موضوعات نوعية تهتم المتخصصين في الدراسات القرآنية.

وقد استضفنا -ولله الحمد- في اللقاءات الماضية عددا من كبار أهل العلم في الدراسات القرآنية من أنحاء العالم والله الحمد.

ولعل اليوم -بإذن الله تعالى- يكون درّة هذه اللقاءات مع شيخنا وأستاذنا معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الذي هو قبل أن يكون وزيرا للشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فهو أستاذ الدراسات القرآنية بجامعة الإمام، وقد تشرفت أنا شخصيا بالتلمذ على يديه في مرحلة الماجستير، وتلمذ غيري من طلاب العلم على دروسه وكتبه ومحاضراته النوعية التي لا تخلو -ولله الحمد من توفيقه لمعالي الشيخ- من إضافة علمية وعمق علمي يظهر في معالجته للمسائل.

اليوم سوف يحدثنا معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ وفقه الله عن:

المدخل إلى إعجاز القرآن

وكأني به مدخلا يُحاكي ما كتبه محمد عبد الله دراز في «النبأ العظيم» وأشباهه بإذن الله تعالى.

فلن أطيل عليكم في المقدمة، وأترك الميكروفون لمعالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وأرحب به بين تلاميذه ومحبيه في مركز تفسير للدراسات القرآنية، والذي أعده تليته لهذه الدعوة شريفا لتلاميذه ومحبيه في مركز تفسير للدراسات القرآنية، ونرجو أن يكون هذا بإذن الله بداية لتواصل علمي مع معالي الشيخ نسأل الله أن يوفقه وأن يسدده.

فحياكم الله يا معالي الشيخ، وأهلا وسهلا بكم، وتفضلوا، والوقت المتاح أنه ساعة لضيوفنا، وحسب ما ترى إن كان ساعة أو أقل أو أكثر، وأرجو أن تكتبوا الأسئلة وترتبها على حسب وصولها

ونعرضها على الشيخ بعد انتهائه.

الشيخ صالح آل الشيخ:

بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هو الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيّه وخليله، أنزل الله عليه القرآن ليكون للعالمين نذيراً، صلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد كلما صلى عليه المصلون، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد كلما غفل عن الصلاة عليه الغافلون.

اللَّهُمَّ فاغفر جمّا.

أيها الإخوة الكرام.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

وإني في فاتحة هذا اللقاء لأحمد الله تعالى أن جمعنا على أعظم ما يُجتمع عليه وهو م حبة كلام الله جل وعلا العزيز الذي هو القرآن العظيم، وجمعنا على الحب فيه، وحب العلم، وحب نصره هذا الدين، وبقائه في الأمة قويا عزيزا ببقاء هذا القرآن العظيم في نفوس أبناء هذه الأمة قويا عزيزا ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر]، فبحفظنا بما هو ميسر لنا لهذا القرآن الله جل وعلا يستعملنا فيما يقرب إليه.

في البداية أشكر لأخي العزيز فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بن معاضة الشهري لجميع زملائه في مركز التفسير هذه الدعوة الكريمة التي أجدها تكريما أكثر من أني آتي لأتكلّم، والتكريم من أهل القرآن يفرح به لأنها شهادة لصلة نوعية في أعظم ما تكون الصلة به؛ وهو القرآن الكريم العظيم، كلام الله رب العالمين.

لا شك أن الدراسات القرآنية اليوم قد توسّعت جدّا، وتوسّعت بحكم تنوع التخصصات القرآنية في الجامعات بأنواعها؛ وكلما زادت التخصصات، وزاد المؤهلون من حملة الشهادات وأهل العلم كلما حرصوا أكثر على تنويع الإفادة من علوم القرآن الكريم، ابتداءً من حفظ القرآن الكريم، على قراءة وعلى رواية أو أكثر، ثم على القراءات والروايات، ثم على فقه هذه القراءات في فروعها وأصولها، ثم في معرفة أسس التي تؤدي إليها هذه الاختلافات في الأداء أو في الرسم، وما يتصل بذلك من بحوث تُرجعنا

إلى القرآن غُضًّا طرِيًّا كما أنزل، «أنزل القرآن على سبعة أحرف».

هكذا تنوعت الدراسات في جميع مناحي علوم القرآن، ومن الدراسات التي توجد اليوم في المدارس والكلية وفي بحوث من يبحث «مبحث إعجاز القرآن»، وكثيرة الكتب القديمة في إعجاز القرآن على اختلاف مشارب من كتب في ذلك وفي عصرنا الحاضر بعد كثرة التأليف والكلية صارت الكتابة في إعجاز القرآن كثيرة جدا جدا، بحسب التخصص، وبحسب ما يتاح للناظر في إعجاز القرآن مما يهيئ الله له.

والمؤلفات تتحدث عن إعجاز القرآن، واخترت الاسم على عجلة بـ «المدخل إلى إعجاز القرآن» أتباعا لما صنعه استاذنا وشيخنا في العربية الشيخ محمود محمد شاكر رحمته الله تعالى في كتابه الذي لم يكمله «المدخل في إعجاز القرآن».

وإعجاز القرآن أكبر من أن يكتب على غلاف كتاب، حفظنا في الحقيقة أن ندخل ونزدلف إلى هذا العلم علم إعجاز القرآن؛ ولذلك وجدتها كبيرة في محاضرة وليس في تأليف، في محاضرة على عجل أن أتكلم عن الإعجاز، وإنما نتكلم عن مدخل إلى إعجاز القرآن.

وإعجاز القرآن من حيث هو لفظ: علم جعل من علوم القرآن، وهو في الأصل ليس كذلك، فإعجاز القرآن ليس من علوم القرآن، وإنما إعجاز القرآن هو من علوم العقيدة في دلائل النبوة؛ لأن أعظم آية؛ ولأن أعظم برهان آتاه الله جل وعلا نبيه محمدا صلوات الله عليه يدل على صدق أنه رسول من عند الله هو القرآن.

فالقرآن هو الآية والبرهان، وقع فيه التحدي، وتحدى الله جل وعلا الجن والإنسان أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ولو اجتمعت قُدرهم وكان بعضهم لبعض ظهيرا؛ فعجزوا.

وتحدى العرب أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات كما زعموا ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ﴾ [هود: ١٣]، وتحداهم بسورة وهذا التحدي، وحصول العجز، وكونه دليلا من دلائل النبوة = أخرج اسم إعجاز القرآن، وإلا فالأصل في ثلاثة القرون أنه لا يوجد هذا الاسم (إعجاز القرآن)، وإنما القرآن العظيم: كلام الله، الآية، والبرهان، وحجة النبي صلوات الله عليه إلى قيام الساعة.

وهذا يبين لك أن مبحث إعجاز القرآن أصله عقدي؛ ولذلك لا نجد أحدا من السلف من علماء التفسير تكلم حول إعجاز القرآن من حيث هو علم متصل بالقرآن، وإنما بحثه من بحث في إثبات نبوة

محمد ﷺ، وإثبات الرسالة وإثبات الإسلام.

وقبل أن نصل إلى المقصود نمر مروراً تاريخياً سهلاً بحسب ما يقتضيه المقام على هذه المسألة: مسألة إعجاز القرآن من حيث هي معناها أن القرآن معجز؛ معنى ذلك أن الإعجاز صفة للقرآن، وهو إعجاز القرآن، وليس إعجازاً بالقرآن، وذلك فأهل السنة وافقوا على إطلاق هذا الاسم في دلائل النبوة قالوا: هو إعجاز القرآن، وليس إعجازاً من الله بالقرآن، ولهذا نمر مروراً سريعاً في كيف صار إعجاز القرآن من علوم القرآن ومن علوم العربية أو من علوم البلاغة أو ما إلى ذلك.

أول ما بدأ تكلم من تكلم في هذا المسألة، في إثبات النبوة؛ لأن القرآن هو حجة محمد ﷺ، وأن الحجة قامت على العرب بهذا القرآن؛ لأن العرب أهل لغة، فاللغة العربية ولدت مع العرب، ولذلك سُميت عربية، وفي الحديث الصحيح: «أول من فتح لسانه بالعربية الفصحى إسماعيل عليه السلام» وانتهت خاتمة المطاف في قمة اللغة العربية حين نزل القرآن على العرب، كانت العرب مختلفة في لغتها العربية: هناك لغة قريش، وهناك لغة هذيل، وهناك لغة قحطان، وهناك لغة تميم، وهناك لغة أهل اليمن، وهناك عدة لغات أو أحرف مختلفة للعرب في كلامها. فهناك عند بعضهم ما لا يعرفه البعض الآخر.

فقمة البلاغة، قمة فهم اللغة، قمة معرفة اللغة في لفظها ومعناها وتركيبها ونظمها كانت عند عرب قريش، وكانوا يحتفون كل سنة بسوقٍ خاص بذلك، وتعلق القصائد على الكعبة التي يُشهد لها لأجل ذلك، ولما كان الأمر كذلك كانت الحجة قائمة على العرب بهذا القرآن بأنه من عند الله جل وعلا، حيث إنهم عند أنفسهم قد ملكوا البلاغة والبراعة واختيار اللفظ ونسق النظم، بلغوا فيه الغاية، وتفادوا بذلك، فلما نزل القرآن وجدوا العجز الكبير في ذلك.

وهنا القصة المشهورة أن ثلاثة من قريش وهم سفيان بن حرب وأبو جهل والأحنس بن شريق اجتمعوا ليلة على غير موعد عند منزل النبي ﷺ يسمعون يقرأ القرآن فلما تراءوا عند الانصراف تعاهد بعضهم مع بعض أن لا يرجعوا مرة ثانية خشية من تأثير القرآن، ومع هذا التعاهد اجتمعوا مرة أخرى لغلبة سلطان التأثير في القرآن على نفس العربي في ذلك، واستمعوا ليلة ثانية، ثم ليلة ثالثة، حتى تعاهدوا في الليلة الثالثة أن يقولوا للناس: إنه مفترى.

وهكذا كانوا يسمعون، حتى قال الوليد في وصفه للقرآن: لقد سمعت شيئاً ليس بالشعر ولا بالكهانة،

ولا بقول البشر، إن له له لحلاوة، وإن عليه لَطَلاوة، وإن أعلاه لمعذق وإن أسفله لمورق. وهذا منه استسلام لعظمة القرآن، فهو له سيطرة على النفوس، ولأنه كلام الله جل وعلا.

ومن هنا جاء البحث: لم كان القرآن معجزاً؟

مثل ما قلنا لفظ الإعجاز لم كن معهودا ولم يرد لا في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام الصحابة ولا كلام التابعين، ولا كلام تبع التابعين ولا من بعدهم أيضا بقليل، وإنما أول من أحدثه المعتزلة، والاستعمال صحيح، إذا عني به المعنى الصحيح الذي نتكلم عنه، وإلا فإن الأصل القرآن آية، نقول: برهان القرآن، آية القرآن ونحو ذلك.

ولكن جرى الاصطلاح على استعمال لفظ الإعجاز، باستعمال صحيح، فلا بأس في ذلك، واستعمله العلماء بنحو من الاستعمال.

فكان ممن تحدث في ذلك النظام المعروف -شيخ المعتزلة- بأن القرآن سبب إعجازه ليس أن العرب غير قادرين عن الإتيان بمثله؛ ولكن أن الله صرفهم عن ذلك بقدرته.

وهذه المسألة الموسومة بالصرفة بكتب العقائد ولا تطول فيها.

ويأتي بعده تلميذه أو صاحبه أو معاصره أو تلميذه الجاحظ فذكر في غير ما كتاب مثل الكتاب الحيوان وغيره قال: السر في الإعجاز هو اللفظ، فإن المعاني يعرفها العربي والعجمي، ويعرفها الحضري والقروي والمدني -يعني صاحب المدينة- إنما الشأن في انتقاء اللفظ وحسن السبك أو كما قال.

وهذا المعنى أن السر في الإعجاز الألفاظ المتتقة الخيرة؛ لكن القرآن لفظ ومعنى، والمعاني فيه أكثر بعدا من الألفاظ.

الألفاظ فيها العلو والإعجاز؛ لكن المعاني فيها التركيب كما سيأتي إعجاز آخر.

وهناك من عكس فقال: الألفاظ موجودة؛ ولكن الشأني في المعاني من تركيب هذه الألفاظ.

وهناك من أتلا بعد ذلك وهو الخطابي حمد بن محمد سليمان رَحِمَهُ اللهُ تعالى العالم المعروف حيث جاء بذكر نظرية النظم، أو ما يسميه المتأخرون بنظرية النظم أشار إليها إشارة في رسالته في (إعجاز القرآن)، ولكنه لم يطبقها تطبيقا واسعا.

وأخذها معاصره العلامة عبد القاهر الجرجاني فبسط القول فيها بسطا آلت الأمور إليه؛ في أن سر إعجاز القرآن في النظم.

ومعنى النظم وما يجتمع فيه تركيب الألفاظ واجتماعها، مع بعد المعاني واتساقها، والروابط التي تربط بين الألفاظ لإحداث اختلاف المعاني، وإحداث الصور المختلفة على الاختصار أو الإطناب. وينظر بعظمة وبهاء - وحق له في ذلك - إلى قول الله تعالى في رسم شيء كبير، وإحداث نظر متنوع بعيد في مثل قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَسْمَأُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ٤٤﴾ [هود]، بحيث إن واحدا من آحاد البلغاء أو الأدباء لو أراد أن يصوغ هذه الصورة الكبيرة التي تراها مع هذه الجمل المختصرة لكان عندك بحر من الصور المختلفة التي يمكن أن يكتب فيها عدة صفحات لتصوير هذا المشهد العظيم.

والنظم ذكره العلامة عبد القاهر الجرجاني في رسالته «الشفافية» وفي «أسرار البلاغة» وفي «دلائل الإعجاز» بنوع بسط وهو المشهور بين العلماء، وأعظم ما بسط فيه هذه المسألة في مجلد من كتابه العظيم «المغني» الذي رد في هذه المسألة على قاضي المعتزلة عبد الجبار.

ومرت هذه المسألة - مسألة النظم - بين العلماء على استحسان كبير، والنظم تولد منه نظرية النظم أو فكرة أن عجز العرب عن الاتيان بمثله مجتمع بين ألفاظ متقاة عالية، ومعاني كثيرة متنوعة، وبين نظم يجمعها بروابط تحدث معاني مختلفة، وهذا استحسسه العلماء الذين أتوا بعده، وخاصة علماء العجم الذين كانوا يحتاجون للحوار أو للمناظرة في هذه المسألة مع من ينكر النبوة ويثبت حجية القرآن.

من هنا تولد من كلام عبد القاهر علم اسمه علم البلاغة، وعلم البلاغة له ثلاثة فصول أو علوم:

الأول: علم المعاني.

والثاني: علم البيان.

والثالث: علم البديع.

والبديع يُنظر فيه إلى: المحسنات اللفظية بأنواعها.

والبيان يُنظر فيه إلى: الصور والمعاني الناتجة من الألفاظ.

والمعاني وهو أهمها لطالب العلم في التفسير، وهو كيف يختلف التفسير وتختلف المعاني بالروابط

المختلفة للنظم؛ مثل ما نقول: التقديم والتأخير والتأكيد بإن، والتأكيد بالمؤكدات، والقسم، والحصر والقلب وأنواع ذلك من علوم المعاني.

ولهذا لا يمكن أن يجيد التفسير بالإرشاد إلى الإعجاز من لم يتقن علم المعاني، فنتج من هذه النظرية نظرية النظم البلاغة بعلومها التي تدرس الآن.

والدمج ما بين علم البلاغة وعلم التفسير اليوم قليل، حتى عُدت المؤلفات التي يقال: تفسيرها بلاغي، وإذا كان المقصود بالتفسير البلاغي المقصود به البديع والبيان، فهذا أمر لا بأس به فيه سعة؛ ولكن لا يصلح أن يكون تفسير بلا علم المعاني؛ لأن التفسير بفهم اللغة باللسان العربي واجب، لا يمكن أن يكون التفسير إلا بفهم اللسان العربي، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أقدر الناس على فهم اللسان العربي وبالتالي كانوا هم بالسليقة والطبيعة أقدر على فهم المعاني بمقتضى رعاية علم المعاني الذي جاء مؤخراً.

لكن هنا وقعنا في تقليد استمر منذ عبد القاهر الذي عمل إنجازاً كبيراً في تاريخ إعجاز القرآن، ورد، وكان همه الرد على المعتزلة في ذلك عمل إنجازاً كبيراً استحسنة العلماء؛ ولكن منه إلى الآن وما قاله يعتبر هو السرّ في القرآن قد رجّحه الكثيرون واعتمدوا عليه، حتى انفتقت هذه العلوم. وألف بعده عدد، وهنا تأتي مدرستان مهمتان لطالب العلم أن يتنبه لإنتاجهما فيما يتصل بالقرآن وعلومه:

المدرسة الأولى: مدرسة العجم.

والمدرسة الثانية: مدرسة العرب.

ونعني بالعجم هنا ليس الفصيل؛ ولكن الذين أدخلوا القوانين الكلامية والمنطقية في علوم العربية، وهذا الذي أفسد الذوق العربي، وفهم العلم علم المعاني وعلم العربية على ما كان عليه الأوائل فاتجهوا إلى أن العربية في معانيها وبلاغتها وبيانها وبديعها يمكن أن توضع في قوالب كما يقال: تعريفية محدودة، لتكون علماً يدرس، ولم تكن يوماً ما المعاني والنظم في قوانين يُدرك، وإنما يدرك بذوق العربية، وفهم اللسان العربي على ما كان عليه، ولما مشوا في هذا الطريق، وكثرت المؤلفات في البلاغة في الإيضاح وفروعه وفي هذا الاتجاه كان قوالب وقوانين وتعريفات أذهبت الذوق وجعلت المسألة تطبيقية دون

رعاية للحس والفهم؛ حتى بلغ الأمر أن كتب السيوطي رَحِمَهُ اللهُ تعالى في ثلاث مجلدات «معتزك الأقران في إعجاز القرآن» وأجاد ايما إجادة على هذا الخط.

أما الخط الثاني وهو المهم، وهو خط التذوق العربي الذي كان عند السكاكي وابن السبكي وجماعة فيما نحو إليه؛ لكن الأمة لم تترسّل مع ذلك ولم تتبنّ هذا الأمر في القرن الثامن والتاسع الهجري، فلذلك خبا وظلت العربية وفهم القرآن في كودنة نقلة القوانين المنطقية والكلامية والعجمية في القرآن، ومن هنا ضعف الأمر جداً.

المنحى الثالث في إعجاز القرآن: ليس هو منحى اللفظ والمعنى؛ وإنما هو منحى التأثير، منحى سلطان القرآن على النفوس، هذا ذهب إليه جماعة من أهل العلم من السلوك؛ لأن كل طائفة من العلماء لهم ميل إلى علم من العلوم يريدون أن يجعلوا إعجاز القرآن مرتبطاً بذلك العلم، فأهل السلوك جعلوا تأثير القرآن على النفوس هو الحجة التي لا يمكن أن يُستهان بها؛ لأن الأصل هو هذا؛ سلطانه قوي ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَدِشًا مَّتَّصِدًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ثم نمرّ على هذا إلى العصر الحاضر، وجاءت أنواع من الدراسات:

فمنهم من رأى أن إعجاز القرآن في تشريعه وتشريعاته.

ومنهم من رأى تبعاً لبعض المتقدمين في إخباره؛ أخبر عن قصص الأنبياء، وأخبر عن أشياء في الكون وعما يستقبل، وحدث ما يستقبل في أيام تأتي بعد أيام النبي ﷺ؛ ولكن هذه تدخل في الخصائص؛ لأن منها ما لم يدركه العرب القرآن حجة عليهم.

حتى وصل الأمر إلى إعجاز القرآن بالنظريات العلمية؛ يعني الإعجاز، الذي يسمونه الإعجاز العلمي للقرآن، والكتب فيه كثيرة، وأنشئت له هيئات وهو مؤثر.

وهنا نقف وقفة -قبل الدخول إلى المدخل-، هذا عرض تاريخي، وهو الموجود في كتب دراسات القرآن، وهو الموجود عند من يدرس هذه المسألة؛ لكن نقف وقفة هنا قبل أن ندخل إلى المدخل.

هذه الوقفة هي: أن كل ما قيل في ما ذكرنا هو حقٌ وصواب، فكل هذه الأمة على مدى قرون تتلمّس هذا السرّ العظيم الكبير في القرآن الكريم؛ الذي جعل الناس الذين خاصّتهم اللغة أن يستسلموا له، وجعل من لا يعرف اللغة يستسلم لرنته وحسن سبكه في الاستماع، وحسن رنته في الأذن، ويجعل أهل

الجدال يستسلمون لقوة حجته، ويجعل.. ويجعل.. إلى آخر ذلك.

هذا كله صفة للقرآن، القرآن العظيم ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ (٦٧) أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ [ص]، ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ

﴿١﴾ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ﴾ (٢) [النبا]، هذا النبأ العظيم هو فعلاً القرآن وهو العظيم؛ لكن لماذا كان كذلك؟

هل هو لتشريعاته؟ هل هو لسلطانه؟ هل هو لبلاغته؟ هل هو لنظمه؟ هل هو لتأثيره؟

نحن نرى في القرآن عجباً: آية في قصّة آدم، وبعدها آية في قصة أحد الأنبياء، ثم تشريع، ثم الكلام عن الجنة والنار، فتجد في آيات متتاليات في صفحتين أو ثلاث من القرآن مجموعة من الموضوعات المختلفة.

وهنا نصل إلى «المدخل» الذي أظن أنه بحاجة إلى دراسة من أهل الاختصاص، وهو أن القرآن إعجازه وآيته وبرهانه هي أنه كلام الله جل جلاله، الملك، القدوس.

فكل صفات الله جل وعلا وما تقتضيه أسماؤه من معاني تدل على ربنا جل وعلا، وكلامه سبحانه في أمره الكوني، أو أمره الشرعي، أو فيما أنزله حجةً لنبيه ﷺ أو لما قبله من الأنبياء = هو كلامه ﷻ، فلا بد أن يكون كلامه جل وعلا غير كلام البشر.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يِقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِّسَانٌ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ

عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (١٣) [النحل].

البشر يعلمهم من خلقهم، من خلقهم؟ خلقهم الله؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

﴿١٤﴾ [الملك].

ولمّا علم جل وعلا مستوى خلقه في التلقي في أنواع ما يدركونه جعل القرآن العظيم معجزاً إلى حدّ تقبله عقولهم وأفئدتهم؛ لأنه لو كان معجزاً بما لله جل وعلا من عظمة الكلام وشأنٍ عظيمٍ في الرسالة والوحي ربما عجزوا عن استقباله، فلمّا كان حجةً كان هداية.

ولذلك الجمع ما بين كون القرآن حجةً ومعجزاً وآية وبرهاناً فيه بكونه كتاب هداية ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ

يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، هذا القرآن أنزل لهداية الناس.

الناس يختلفون؛ فلذلك قلنا: إن أول معلم وأكبر أمر في الإعجاز هو أن القرآن كلام الله، وكلام الله لا

يمكن أن يكون ككلام غيره، ولا يمكن أن يكون ككلام البشر أو في مستوى كلام البشر، ولذلك عجز كفار قريش ودهاقنة العرب ومن يعرفون اللغة ويمارسونها ويفتخرون بها = عن ذلك؛ لأنه كلام الله الذي لا يستطيعون أن يأتوا بمثله.

تستطيع أن تصف كلام الناس تقول: هذا أسلوب صالح آل الشيخ، لو غيّر لك الصوت تقول هذا أسلوبه، هذا أسلوب د. عبد الرحمن، هذا أسلوب فلان، تعرف القائل من أسلوبه، وهذا في نطاق البشر مع تنوعهم.

فالله جل وعلا يُعَلِّمُ ﷻ بالعلم بالقرآن، والقرآن كلامه الذي لا يمكن أن يكون كلام بشر.

فلذلك أعظم صفة في الإعجاز وكونه آية أنه كلام الله جل وعلا؛ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ

بِالْحَقِّ ﴿[النحل: ١٠٢]﴾، نزله روح القدس من الله جل وعلا.

هنا نجد معنى الهداية مخاطبة الناس جميعا التي قال فيها أبو الوليد لما قال للنبي ﷺ: لو أردت ملكا ملكناك، ولو أردت مالا أعطيناك مالا حتى تكون أغنى العرب، ولو أردت امرأة ذهبنا بحثنا لك عن أجمل نساء العرب فزوجناك، ماذا تريد؟ فقال النبي ﷺ: «هذا ما عندك؟» قال: نعم، قال: اسمع: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾ ﴿فقرأ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾﴾ [فصلت]، فقال أبو الوليد: حسبك، هذا ما عندك قال نعم، فقام فرجع فقالوا ماذا عملت معه، قال: قال كلاما لا ادري ما هو، ولكن أذكر منه الصاعقة، إن له لحلاوة، إلى آخره.

إذن هذا السلطان نأتي فيه إلى إعجاز القرآن في أثره على النفوس لأنه كلام الله جل وعلا، القرآن فيه الآيات المتنوعة، الواحد منا يقرأ الآية ويمر عليها لا يتأثر بها، ويقرأ القرآن مرة أخرى ونفس الآية يتوقف عندها وتؤثر عليه، ويقرأ الآية قارئ فلا تحرك فيه، فيقرأها قارئ آخر فتحرك فيه الإذعان والإخبار لله جل وعلا.

هذه آية يتأثر بها المستكبر، وآية يتأثر بها الرحيم، فأيات الجنة تهدي من يحب الترغيب، من يؤثر فيه الترغيب، من يؤثر فيه الحب، من يؤثر فيه العطف، آيات الوعيد، الوعيد بالنار الوعيد بالعقوبة، تؤثر في

فئة من الناس تهزم لما تركب، النفوس مختلفة، وهذه هي النقطة؛ النفوس نفوس الناس مختلفة، فتجد في القرآن ما فيه خطاب لجميع النفوس، وهذا لا يمكن أن يكون كلام بشر ولا يمكن أن يكون يستطيعه أحد.

فإذن الإعجاز جاء هنا من حيث أن القرآن أثر على أصناف الناس كل واحد بنوع نفسيته، تجد فلانا يعامل له نفسية له طريقة، ويعامل هذا شديد هذا رحيم، هذا لين، هذا حليم، هذا مستعجل، هذا يسمع والآخر لا يسمع.

القرآن فيه خطاب للجميع منهم من يتأثر بالأحكام الشرعية وبالحلال والحرام، ومنهم من يتأثر بالقصص قصص السالفين، منهم من يتأثر بالآخرة وما فيها، ومهم ومنهم.

فكل أصناف الناس بما خلق الله النفوس عليه من أنواع -وهي أنواع كثيرة- تجد أن جميع مخاطب في القرآن بما يؤثر عليه وبصلح نفسه، لمن ألقى السمع وهو شهيد.

وهذا نوع أول من مداخل إعجاز القرآن: النفوس مختلفة لا يعلمها إلا الله، القرآن كلام الله ليس بكلام البشر فهو صفته سبحانه الذي خلق الناس وعلم ما يصلحهم، هذه نظرة هداية ليست فقط نظرة هداية؛ ولكن هي في قالب النظم الذي ذكره؛ يعني أن ما ذكر هو خصائص لهذا القرآن، صفات لهذا القرآن، أن ألفاظه فيها كذا أو أن معانيه فيها كذا، وأن نظمه معجز، وأن فيه السلوك، وأن فيه التشريع، وأن فيه الإعجاز العلمي، وأن فيه الإخبار بالمغيبات الماضية أو المستقبلية، هذه كلها صفات؛ لكن من جمع الكلام بهذه جميعا، هو المتكلم بهذا القرآن.

الثانية هي: أن القرآن معجز لأن فيه أثر صفات لا يمكن للبشر أن يبلغوها، البشر لهم صفات:

لهم صفات علم؛ لكن بقدر.

لهم صفة حلم؛ لكن بقدر.

لهم صفة قدرة؛ لكن بقدر.

لهم صفة قوة؛ لكن بقدر.

لهم صفة ملك؛ لكن بقدر.

لهم صفة بطش؛ لكن بقدر، لهم صفة ... إلى آخره من الصفات.

لهم صفة سلطان بقدرها.

لهم صفة تشريع بقدرها.

لكن صفة الله في هذه جميعا ليس هي صفة البشر، ولذلك من آمن بالقرآن أول ما أنزل رأى فيه القوة التي تجمع صفات ليست هي من صفات البشر؛ لأن المتكلم إذا تكلم بما عنده في ذهنه من الصفات؛ يعني بقدرته بما عنده من معلومات يخرج، وبما عنده من قدرة يخرج، يتوعد بقدره يوعد بقدره، يسوق قصص بقدره، يسوق علما بقدره.

لكن ما في القرآن ليس لمقدور البشر ولا الجن والإنسان أن يكونوا بمثل هذه الصفات التي تكلم الله جل وعلا بالقرآن لإحاطته وعلمه وكماله في ذاته وأسمائه وصفاته.

ولذلك (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها)، جاءت في آيات جاءت ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه]، متى جاءت هذه؟ جاءت في إنزال القرآن في أول ما أنزل:

﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَ لِمَنْ يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿٦﴾ ﴿إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾﴾. ﴿٨﴾

ربطها هنا في هذا الموطن بإنزال القرآن ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ لأنه تأملوا في ما في القرآن من بواعث لهذا الكلام لا يمكن أن يكون إلا من صاحب صفات لا تجتمع عليها البشر والجن والإنس لو اجتمعت بعضهم لبعض ظهيرا؛ لكن لا يمكن أن يلغوا علما يخرجون به مثل هذا القرآن، ولا أن يبلغوا فهمها ولا فقها ولا حكمة ولا قدرة ولا قوة ولا قدسا ولا طهورية ولا عبودية.

فإذن هذه جميع تغشى المتلقي للقرآن فيعلم أنه لا يمكن أن يكون هذا إلا كلام الله جل وعلا. فهنا صفات البشر هذا المدخل في الإعجاز صفات الرجال والنساء من الجن والإنس لو اجتمعت وبعضهم لبعض ظهيرا لن تبلغ شيئا من صفة الله جل وعلا، ولذلك لا يمكن أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ لأنهم لا يمكن أن يجمعوا شيئا باجتماعهم يبلغ شيئا من علم الله، فعلم الأولين والآخرين وما أوتي الناس في علم الله كمخيطة وضع في البحر فأخرج منه، ماذا أخرج من البحر؟ شيء قليل.

ف رحمة الناس التي يتراحمون بها هي جزء من كذا، وعلم الناس هو جزء صغير صغير من علم الله

تعالى؛ بل إن الله تعالى هو الذي أفاض عليهم كل ذلك.

فإذن الإعجاز جاء لو جمعت صفات الناس، المتلقي للقرآن في العهد الأول يتلقاه بلغة عربية لها سلطانها عليه، ولكن محتواه، لو اجتمع الناس جميعاً ما جاؤوا بهذا المحتوى، آية في الوعيد في الجنة في القصص في التشريع في العبادة في السلوك في المخاطبة في اللين.. لا يمكن أن يكون بهذا المستوى أن يكون من كلام إلا من كلام الله جل وعلا.

الثالثة: أن القرآن وقع فيه الإعجاز بشيء يجتمع الناس على الاستسلام وهو الإخبار بالمغيبات، النبي -عليه الصلاة والسلام- لا يعلم قصص الأنبياء التي سلفت على هذا النحو؛ لأن قصص الأنبياء جاء بعضها في التوراة والإنجيل؛ ولكن على هذا النحو من العلو في الوصف والعبارة، وهذا الحفظ لم تأت إلا في القرآن، وجاء فيها أشياء ليست مدركة لا في العلم السالف ولا في الأمم السالفة ولا حتى في وقت التنزيل ولا في علم المؤرخين، إلا في وقت متأخر.

فإذن ذكر التاريخ الماضي لا يعلمه إلا الله جل وعلا: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [يوسف: ١١١].

مثلاً في قصة يوسف عليه السلام: مصر كانت محكومة قبل عهده وبعد عهده كانت محكومة بالفراعنة، الفراعنة حكام مصر، قبله وبعده، في قصة يوسف عليه السلام ما جاء فيها ذكر فرعون جاء فيها ذكر العزيز، أين ذكر فرعون؟ هل الفراعنة جاؤوا بعده؟ الفراعنة قبل والفراعنة بعد، فلماذا حلت قصة يوسف عليه السلام من ذكر شيء اسمه فرعون. العلماء يقولون: العزيز اسم من أسماء الولاة الأولين أسماء ولاة فرعون أو ما شابه ذلك؛ لكن جاء التاريخ وبين أن فترة يوسف عليه السلام غلبت فيها دولة غلبت فيها الفراعنة وانتصروا على الفراعنة، ثم بعد يوسف بزمن عاد الفراعنة وحكموا مصر، ففي تلك الفترة التاريخية وهذه ما اكتشفت إلا مؤخراً.

وهذا نوع من إعجاز القرآن ليس الإعجاز التاريخي مثل ما يقولون؛ ولكنه أن القرآن كلام الله جل وعلا لأنه هو الذي يعلم ما كان ويعلم ما يسكون وصفة الله جل وعلا هنا في إحاطته بالعلم وأن الله جل وعلا بكل شيء محيط علماً وقدرة ﷻ هي التي تجعل القرآن معجزاً، فكونه سبحانه علم علماً محيطاً كاملاً لا نقص فيه بوجه من الوجوه، فيما مضى، وفيما هو حاضر وفيما نستقبل، علم أزلي ذاتي ﷻ لا

ينفك عنه جل وعلا، هذا يعطيك أن هذه الأشياء التي في القرآن المتنوعة هي دليل أنه لا يكون إلا من عند الله جل وعلا مدخل أيضا للغيبات المستقبلية التي في القرآن.

وهنا يجوز هنا إدخال الإعجاز الذي يسمونه الإعجاز العلمي في هذا الأمر؛ لأنه هو إعجاز لعلم الله جل وعلا بما سيكون وذكره في القرآن، فهو راجع إلى تحقيق أن القرآن كلام الله جل وعلا؛ لأن العلم بالمستقبل لا يكون إلا من عند الله جل وعلا.

ولهذا الإعجاز العلمي باب واسع، وهو مهم في التأثير الكلام عن الإعجاز العلمي للقرآن بأنواعه سواء، إعجاز فيزيائي أو كيميائي أو زراعي أو فلكي أو عددي إلى آخره.

بشرط أن الذي يربط شيئا فيه أشياء من الإعجاز العلمي بالقرآن يجب أن يعلم أن القرآن كلام الله الذي هو الحق المقدم، وهو الحق المطلق، والنظريات هذه عرضة للصواب والخطأ مهما كانت، فتكون تلك العروض بالإعجاز العلمي للقرآن لا بد أن تكون تقريبية وليست قطعية؛ لأن منها أشياء فسرت بها آيات ثم بان أنها ناقصة أو ليست كذلك.

ومن المعلوم أن القطعي لا يعارض قطعيًا، فإذا كانت إثباتات نظرية أو ما أشبه ذلك الأمور العلمية قطعية بأحد أدوات إثبات القطعية فإنه لا بأس أن يفسر بها القطعي؛ لكن القطعي هو القرآن إذا كانت دلالة قطعية، وأما إذا كانت دلالة اللفظ ظنية فهذا فيه مجال بحسب تفسير العلماء.

الصفة [الرابعة] لمدخل الإعجاز: أن القرآن كلام الله جل وعلا من حيث هو سبحانه ذو الربوبية على خلقه أجمعين؛ فهو الخالق الرازق والرب سبحانه، والملك والقوي والقدير سبحانه، فكل صفات الجلال وأسماء الجلال قوة والهيبة لله جل وعلا، هذه كلها ينزل أثرها في كلامه ﷺ فيما أنزله على نبيه. ولذلك تجد آيات كثيرة لا يمكن أن تفسر إلا بأنها كلام من له صفات الجلال، لا يمكن أن تستقبلها بأنه كلام عادي؛ لكن العربي بفطرته يدرك ذلك.

الصحابي رضي الله عنهم أجمعين قال فلما بلغ النبي ﷺ قراءته في سورة الطور ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلِيقُونَ﴾ (٢٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ قال: كاد قلبي يطير؛ لأنه تلقى تلقيا صحيحا ليس من أثر الكلمات، هو في من وراء من تلکم بهذه الكلمات من يقول: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلِيقُونَ﴾ (٣٥) أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ من يستطيع يقول مثل هذا؟ لا يمكن

أجد إلا الله جل وعلا الذي هو حقيق بكل تعبد وذل وإخبات بين يديه ﷻ.

من دخل في صفات الجلال وأسماء الجلال ينظر هذا النظر.

النظر الآخر من ينظر في صفات العدل والحكمة، آيات القرآن التي فيها التشريع ينظر فيها حكمة الله

جل وعلا في كل أنحاء ما شرعه الله ﷻ. وهذا باب واسع.

كذلك صفات الجمال من يستطيع من الإنس والجن ومن أنزل عليهم القرآن، من يستطيع أن يتكلم بهذا الجمال في الأثر كما في القرآن، في الرحمة والمغفرة، وفي النظر في الملكوت، وفيما في الخلق من جمال، وما في تدبير الله جل وعلا من جمال، وما في الرحمة من جمال، وما في الجنة من جمال ليس جمال الصورة جمال ما أعد الله جمال رحمة الله بخلقه.

هذه المعاني الجميلة الكثيرة لا يستطيع بشر أن يفيضها؛ لأن فاقده الشيء لا يعطيه هو أصلاً لا يستطيع ذلك إدراكاً فكيف يفيضها على عباده.

وذلك تنوع الآيات تنوع عظيم، فلا غرابة أن يكون القرآن لو أنزل على غير البشر لكانت الجبال خاشعة متصدعة؛ لأنه شيء عظيم ضخيم يوقظ يحرك لمن عنده حس، لمن عنده سمع، أو ألقى السمع. ولهذا كلمة السمع هذه من أعظم ما يكون التأثير بالقرآن، القرآن حجة ليست مرئية، برهان ليس مرئي هو برهان مسموع، وإذا كان كذلك ولذلك لا بد من إلقاء السمع، تفتح ذهنك أقوى ما تكون، تفتح عقلك أقوى ما يكون فيما تسمع، ثم تسمع القرآن هنا تعلم أنه من عند الله لا يمكن أن يكون من عند غير الله.

الأخيرة من الصفات هي صفة الحكمة؛ حكمة الله جل وعلا وإحاطته بعدله وحكمته بكل شيء، هذه قال الله جل وعلا فيها، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (٨٢) [النساء]، ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٢٤) [محمد] التدبر مرتبتان - يعني المدخل إليه -: السمع، وفهم المعنى.

سمع وفهم المعنى؛ لذلك قال: ﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ تمنعهم من التدبر، الذي يتلقى القرآن ويسمع السمع الصحيح، وليس سمع الآلة؛ سمع الآلة كلنا نسمع القرآن ويسمعها المسلم والكافر؛ لكن هذا سمع الآلة هذا مشترك؛ لكن سمع الانتفاع، هذا هو المطلوب، سمع التدبر ﴿وَكَاوُؤًا لَا

يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ ﴿الكهف﴾ سمع التدبر سمع الانتفاع، أما سمع الآلة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٦] إلى آخر الآيات في ذلك؛ يعني أعطاهم الله سمعا وأبصارا وأفئدة ما نفعتهم هذه الآلات وسائل.

خلاصة حتى لا يطول المقام / هو طرح نظرحه على هذه الجمهرة من العلماء في الدراسات القرآنية وخاصة الأخوة في مركز تفسير:

أن إعجاز القرآن حقيقته أن القرآن من الله، وكلام الله ليس ككلام البشر في كل ما فيه، وأن مسلك البلاغيين في إعجاز القرآن كان في نقطة في بحر؛ لأن كلام الله من حيث البلاغة لاشك لا يمكن أن يكون كلام مخلوقين ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء]، لا شك لا أحد أحسن من الله حديثاً؛ لأنه كلامه، فالبلاغيون يبحثون في هذه الكلمة في هذه الآية ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء] في اللفظ والمعنى والنظم لإقامة الحجة؛ لكن السلطان هذا المتنوع هو سلطان ما في القرآن من أثر صفات الله جل وعلا وأسمائه.

هذا هو المدخل العلوي المسيطر على النفس لتوقن أن القرآن كلام الله .

أسأل الله جل وعلا أن يغفر لي ولكم، وأن يجعلنا من أهل القرآن الذين أهلهم وخاصة.

اللَّهُمَّ اغفر لنا جما، اللَّهُمَّ اجعلنا من المعظمين لك ولكتابك، ومن المتبعين لرسولك، اللَّهُمَّ صل وسلم على نبينا محمد. اللَّهُمَّ اغفر جما. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

د. عبد الرحمن: اللَّهُمَّ لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على هذه النعمة وعلى هذه المجلس

المبارك؛ الذي تفضل به شيخنا الشيء صالح آل الشيخ وفقه الله.

وشكر الله لكم يا معالي الشيخ على ما تفضلتم به.

وأقول: ينبغي ونحن سنعمل ذلك في مركز تفسير أن نفرغ هذه المحاضرة ثم نعرضها عليك يا الشيخ

صالح حتى تنقحها وتزيدها بسطا وتمثيلا، فإن هذا المدخل مدخل قل من يطرقه بهذه الطريقة.

وكلام شيخنا في أول حديثه أن دراسة إعجاز القرآن مدخلها الصحيح المدخل العقدي هذه كلمة

مهمة جدا، قل من يشير إليها ويتنبه إليها، جزاك الله خيرا الشيخ صالح وبارك الله لك فيما رزقك من

علم.

نفتح المجال للزملاء الذين يرغبون في المداخلات الصوتية إن كان هناك أي مداخلات صوتية لم يأتني أي طلب في الأوراق .

سؤال (١): هل هناك علاقة بين قول المعتزلة بخلق القرآن وبين قولهم بالصرفة، وهل القول الأول يلزمهم بالقول الثاني، وإلا ما سبب نشأة وقولهم بالصرفة.

الجواب: أولاً الصرفة معناها أنهم قادرون، لكن صرف الله قدرتهم عن معارضة القرآن؛ يعني الصرفة معناها أنهم عندهم قدرة؛ لكن صرفوا عن استعمال القدرة حتى يأتوا بقرآن مثله، وإلا هم يقدرُونَ.

وهذا لا علاقة له مباشرة بخلق القرآن، ومسألة خلق القرآن؛ لأن خلق القرآن قضية راجعة إلى أن كلام الله جل وعلا حادث، وهذه مسألة أخرى غير مسألة الإعجاز، تلك بحثها في صفات وهذه بحثها في دلائل النبوة وحجة رسالة النبي ﷺ.

سؤال (٢): هل يوجد كتاب ترشحونه للوفاء بدراسة الإعجاز القرآن على طريقة بلاغة العرب لا طريقة العجم، وما رأيك فيمن كتب مدخلا إلى بلاغة أهل السنة، وهل يمكن إكمال هذه الفكرة.

الجواب: أولاً: نظرية النظم الذي جاءت العلامة عبد القاهر الجرجاني علماء السنة بالقبول وأثنى عليها العلماء؛ لأنه ليس عليها مأخذ عقدي؛ لذلك لا أرى مناسبة أن يكون هناك درس خاص بأهل السنة في إعجاز القرآن، لا؛ إعجاز القرآن مفتوح وهو دليل من أدلة النبوة.

الأمر الثاني: أن البلاغة هي مسألة تذوق، هي علم لمحاولة فهم الغلة العربية، فلذلك أنت تفهم الغلة العربية بالتذوق أو تحس باللغة العربية بتذوقها أو بقوانينها.

أصل التذوق لا يكون إلا إذا حفظت شيئاً كثيراً، التذوق لا يكون إلا بحفظ الكثير من شعر العرب وقصائدها؛ لأن ديوان العرب هو الديوان الذي حفظ به كلام العرب جميعاً.

تعلمون القصة - وهذه من الدلائل أيضاً على حجية القرآن - عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يتلو سورة النحل أحياناً في خطبة الجمعة، فخطب مرة وقرأ من سورة النحل حتى بلغ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٤٧) ثم سأل ما التخوف؟ يعني أشكلت عليه ﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ هل هو خوف؟ فقام أحد الهذليين فقال: التخوف يا أمير المؤمنين في لغتنا في لغة هذيل: التنقص، قال شاعرنا

أبو كبير:

تخوف الرحل منها تامكا قرددا كما تخوف عود النبعة السفن
تخوف يعني تنقص، أو يأخذهم على تنقص شيئا فشيئا، يبدأ ينقصهم شيئا شيئا، حتى تقع بهم
العقوبة.

وهذا فيه عظمة إعجاز القرآن بهذا المعنى؛ أن القرآن فيه لغات العرب جميعا، التي لا يمكن أن يحيط
بها أحد من العرب ففيه لغة قريش وهذيل وتميم إلى آخره.

الأحرف السبعة أنزلها الله تعالى على أرجح الأقوال عندنا أنها على لغات العرب، الأحرف بمعنى
اللغات أنزل على سبعة أحرف يعني على سبع لغات من لغات العرب، أنزلها الله لحكمة جمعت هذا
يعلم أن القرآن ليس من النبي ﷺ لا يمكن أن يأتي عمر وهو قرشي اشكل عليه تخوف.

لهذا اهتم ابن عباس وجماعة من الصحابة بشعر العرب لأن فيه تفسيرا لكلمات كثيرة، كما في قوله :
﴿وَأَنْتُمْ سَمِيدُونَ﴾ [النجم]، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: السمود في لغة حمير الغناء؛ ففيها كلمات تأتيها من
لغات العرب جميعا، ما لا يمكن أن يحيط به بشر.

سؤال (٣): بعض العلماء تكلّموا في مسألة القدر المعجز من القرآن، فما هو كلام أهل السنة في ذلك؟

الجواب: القدر المعجز من القرآن ﴿آلَهُ﴾، كل القرآن معجز؛ لأنه كلام الله.

أما القدر المعجز بكلام من تكلم في اللفظ والمعنى إلى آخره قالوا: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾
[البقرة: ٢٣]، سورة ليست قصيرة؛ لأنهم قالوا: السور قصيرة كيف يكون فيها حجية، هم يفرون من
قوانين وضعوها لأنفسهم، وضعوا قوانين ثم يفرون منها.

القرآن معجز بـ: ﴿آلَهُ﴾ القرآن معجز بـ ﴿قَ﴾؛ لكن الحقيقة ما أنزلت ﴿آلَهُ﴾ لوحدها، وما
أنزلت ﴿قَ﴾ لوحدها، وما أنزلت ﴿طه﴾ ﴿١﴾ لوحدها، أنزلت ﴿طه﴾ ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ
لِتَشْفَى ﴿٢﴾ إِلَّا نَذْكِرَ لِمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ فالسؤال غير واقعي، السؤال هذا خيالي ليس له معنى؛ لأن
القرآن كلام الله بما نزل، أما القدر المعجز ليتوصلوا به إلى أن السورة الواحدة القصيرة ليست معجزة
وهذا مردود بكل حال.

مثل هذه الأسئلة التي منشؤها كلام الكلاميين في دلائل النبوة نقول: إن هذا ليس السؤال واردا أصلا

لأنه ليس منطبقا ولا واقعا.

سؤال (٠): ذكرتم فرقا بين وصف القرآن بالإعجاز وبين كونه إعجازا من الله، نرجو منكم مزيد

توضيح في ذلك.

الجواب: ممكن نبسطها شوي:

• أعجز الله الناس بالقرآن.

• أو إعجاز القرآن.

الأول إعجاز من؟ إعجاز الله، لكن وقع إعجاز الله بالقرآن.

والثاني إعجاز القرآن في نفسه؛ لأنه كلام الله.

فالأول ينطبق على قول من يقول بالصرقة؛ لأن الله أعجز، هو الذي صرف هو الذي جعلهم يعجزون؛ لكن الحقيقة أن القرآن في نفسه معجز آية وبرهان لا يمكن أن يأتوا بمثله لأنه كلام الله جل وعلا.

ففرق بين اللفظين:

الأول فيها نسبة القدرة لله جل وعلا بصرف الناس عن القرآن.

والثاني إعجاز القرآن يعني أن الآية والبرهان والإعجاز صفة من صفات القرآن ذاته.

سؤال (٠): هل كتب عبد القاهر الجرجاني كـ «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز» يمكن لطالب العلم

أن يقرأ فيها وليس له كبير خبرة بمختصرات البلاغة؟ وما الكتب التي تصلح أن تكون مفتاحا لفهمه؟

الجواب: أولا «أسرار البلاغة» يمكن أن تجاوزه لأنه يتكلم في البيان أكثر.

أما «دلائل الإعجاز» فاقراه عشر مرات، أو عشرين أو ثلاثين، لن تمل، كتاب يحرك فيك حب القرآن وفهم المعاني؛ لأن علم المعاني يا إخواني علم مهم جدا؛ يعني ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يأتي واحد يفسر لعبدك سبحانه؛ لكن صاحب علم المعاني الذي يفهمها العربي بطبيعته؛ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ لا نعبد إلا أنت؛ لأن تقديم إياك على -وهي معمول الفعل- تقديم المعمول على العامل يفيد التخصيص؛ مثل ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾

إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴿[الزمر: ٣]﴾، هذا حصر؛ لَكِن الحصر نوعين: حصر قلب أو حصر آخر^(١). هنا هذا حصر قلب؛ يعني قلب عليهم: ما نعبدهم لعله من العلل إلا لعله واحدة وهي أن يقربونا إلى الله زلفى.

مثلا اللف والنشر، يعني الجمع ثم التفريق، هذا أيضا علم من علم المعاني، له فوائد. الفوائد هذه خارجة عن دلالة اللفظ هي فوائد أخرى، مثل الحصر، القصر، القلب، تأكيد، الإضافة، هذا معلوم من كلام العرب.

مثلا نقول لكم في النحو مثلا: الدرس قائم. هذا مبدأ وخبر فيه تأكيد، الدرس قائم مسند ومسند إليه وانتهينا.

لو قلنا: للدّرس قائم، يعني أكدنا باللام.

لما أقول: إن الدرس لقائم، معناه صار فيه مؤكدين معناه أكبر.

إذا استثناء مفرغ يعني بلا ثم يأتي بإلا يفيد ماذا؟ لا إله إلا الله، لا إله إلا اللام مع إلا ما دلالتها هذه كلها في علوم المعاني، تأخذها بالتفسير نقلا؛ لَكِن يمكن أن يتطور فيها طالب العلم بمعرفته علم المعاني فعلم المعاني أهم علم في العربية متصل بتفسير القرآن، وهو مُظهر لوجوه المعاني الكبيرة في القرآن كلام الله جل وعلا.

لا يعني هذا أن البيان ليس مهما لَكِن هذه شغلة المختصين، أما المفسر لازم يعرف علم المعاني.

سؤال (١): كثير من الشبه التي تشاع عن بعض المنتسبين للمسلمين حول القرآن لم ترد عن مشركي

العرب زمن النبوة، فما سر ذلك؟

الجواب: هذا صحيح؛ لأن الشيطان باق.

سؤال (٢): ينظر في الساحات اليوم أن أكثر من تميز في تفسير القرآن وإعجازه هم المختصين باللغة فما

تعليقكم؟.

الجواب: هو أكثر من فسر القرآن هم أهل الحديث؛ يعني أهل التفسير لعلماء الأسانيد وهو أول ما

نقل القرآن التفسير بالأثر عن النبي ﷺ التفسير عن الصحابة التفسير عن التابعين.

(١) لعله ينقسم إلى ثلاثة: قصر قلب، قصر تعيين، قصر أفراد.

أول مدونات التفسير التفسير بالأثر، ودخلها قليل تفسير بعض الآيات باللغة، ثم توسعت المدرستان: مدرسة التفسير بالأثر، ومدرسة التفسير بالاجتهاد الذي هو أهم شيء فيه اللغة. فمدرسة التفسير باللغة مهمة ولكن هي مع مدرسة التفسير بالأثر يكون المفسر فيها قويا؛ لكن لو كان تفسيره لغويا بدون ما ينظر ما ينظر في تفاسير السلف فيكون مقصرا في ذلك؛ لأن الصحابة رضوان الله عليهم هم أعلم الناس بالقرآن لغة وتنزيلا ومواقع.

سؤال (١): كثير من الأسئلة وردت تسأل عن ضوابط في الإعجاز العلمي ومعاليتكم ذكرتم في آخر حديثكم شيئا من هذا؟ هل من إضافة خاصة مع كثرة التوسع في القول بالإعجاز العلمي.

الجواب: الإعجاز العلمي أنا أنظر له على أنه ليس علما؛ ولكنه وسيلة دعوة، ولذلك يجب أن يؤطر بهذا الإطار، فيستفاد منه في الدعوة، وفي تحبيب الناس إلى القرآن، وفي بيان أن الله جل وعلا حق وأن الرسالة حق وأن القرآن حق، وما أشبه ذلك، وهي تؤثر في الناشئة كثيرا.

وأذكر في شبابنا في الصغر من الأشياء التي لفتت نظرنا في المحاضرات الكلام عن إعجاز القرآن؛ لأن هذه تروق للشباب وتروق للمبتدئين، يتبته لعظمة القرآن بموضوعات الإعجاز، فهو وسيلة عصرية للدعوة.

صاحب هذه الوسيلة يجب أن كون عالما أو مقلدا لعالم بثقة؛ لكن لا يصدق كل ما يقال، كل ما قالوا هذا إعجاز خطوه إعجاز، ربما يأتي واحد متخصص مثل ما مر كنا في مكان أحد يتكلم بشيء إعجاز طبي وما هو طبيب المتكلم، كان أحد الأطباء الموجودين قال: لا علميا أن هذا ليس صحيح، الآن صار فيه كذا وكذا.

إذن استخدامه كوسيلة لا بأس بقدر ويجعل ظني ويبرئ الملقى ذمته بأنه قد يكون من معاني الآية يعني يعمل شيئا مما يجعل لقرآن هيئته ومكانة؛ لأن هذا كلام الله جل وعلا ينزل النظريات البشر نظريات ذا كانت قطعية تحولت من نظرية، فالقطعي لا يعارض قطعيًا دلالة على معناها قطعيًا؛ لكن يجب أن يكون ما يفسر بالإعجاز:

أولا أن يكون هو قطعي، إذا جعلته آية من الإعجاز العلمي أن يكون قطعيًا ولا تكون نظرية تحت الإثبات أو تحت البحث أو يتوافر عليها جميع العلماء.

المسألة الثانية أن تكون الآية دالة على هذا المعنى باللغة، وأن لا تكون دلالتها اللغوية ملغية؛ يعني بعضهم يأتي يفسر مسألة؛ لكن الآية ليست فيها يجعلها من تفسير الآية، والآية أصلاً في اللغة لا تتحمل هذا المعنى.

الثالث أن يكون التفسير بما يسمى إعجاز القرآن من متخصص به في العلم ذاته؛ يعني تكلم في الجيولوجيا متخصص في الجيولوجيا يتكلم بهذا، ثم بعض الناس ينقلون عنه لا بأس في الدعوة ليفسر الأول الآية لا بد يكون متخصص بها، يكون يعلمها علماً فيزيائياً يتكلم عن أمور فيزيائية فلكي يتكلم عن الأمور الفلكية.

الطبيب يتكلم عن الأمور الطبية، واحد يأخذ كل المسائل: يأخذ مسائل فيزيائية، ومسائل، عدد ذري للمعادن، وهو طبيب ويتدخل في الطب، هذا عدم احترام في القرآن لا أرى أن يدخل فيه نستفيد من الإعجاز العلمي بتخصص دقيق هذه الشروط الثلاثة:

- قطعية.

- يحتمله المعنى اللغوي واحتمال المعنى اللغوي الصحابة تكلموا فيه بما يدل عليه المعنى اللغوي أو لا يعارض كلامهم.

- والثالث أن يكون من متخصص بارع في ذلك

والله أعلم.

سؤال (:): كثير من الأسئلة وصل يسأل عن دروس معاليكم، ويتشوف إلى بداية هذه الدروس، وانتظامها، ونحن أيضاً في مركز تفسير للدراسات القرآنية نتمنى في الحقيقة أن يكون هناك درس تفسير أسبوعي لمعاليكم ونحن في المركز مستعدون لخدمة هذا الدرس بكل وسائل الخدمة.

ومن أولها أن نستخرج تصريحاً للدرس من وزارة الشؤون الإسلامية، فما تعليقكم؟

الجواب:

غيري الذي جنى وأنا المعذب فيكم فكأنني سبابة المتنمدم صعب الواحد يجمع، ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ولكن في الحقيقة التركيب علمي؛ ولكن الواحد يحاول الإسلام والإسلام، ينفع إخوانه وينفعكم وينفع غيركم، بما أعطاه الله جل وعلا من المكانة هذه الأمكنة ليست مقصودة لذاتها هي وسائل فإذا المرء يساعد بوسيلة لنشر الحق وتكثير

الخير وتقليل الشر فلا بأس يدخل فيها.

أما للنزهة أو للجاه أو نحو ذلك فنعوذ بالله من ذلك، وقد قال النبي ﷺ: «ما ذئبان جائعان أرسلا على غنم بأضر لها من حرص المرء على المال والشرف - وهو الجاه - لدينه» هو مضر جدا هذه إلا إذا كان القصد هو الحق في نفسه ويحاسب المرء نفسه ويوطن نفسه على أنه قصد الحق في نفسه، نشر الهداية، تكثير الخير، تقليل الشر.

يوسف عليه السلام لما ولي لأجل تكثير الخير وتقليل الشر.

الصحابة رضوان الله عليهم ما أخذوا الولايات حبا فيها؛ لكن لأجل أن يقيم الله بهم ما استطاعوا من دينه، بحسب ما يكون لهم من ذلك، وهكذا كل من أتيح له أن يتولى شيئا فأولا يبرئ نفسه يحاول أن يجاهد نفسه أن لا يكون غرضه الدنيا؛ لأنه إذا كان يتعرض للأمر يتطلع للشيء فإنه من سأل شيئا من هذه لا يعطاه، من سأل ولاية لا يولي، ومن استشراف لولاية لأنه يضر.

الأمر الثاني أن يكون المرء يحرص على أن يكون بابا للخير مغلاقا للشر بقدر استطاعته، التمام صعب لكن بقدر استطاعته.

هذا ولا شك أن أعظم ما يقال في ذلك هو قول الله جل وعلا: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨]، من ولي شيئا وعنده هذه الآية أمامه فهو إن شاء الله على خير. نسأل الله أن يغفر لنا زللنا وأن يجعلنا وإياكم من المنتصرين للحق والهدى.

سؤال (١): نختم برسالة من معاليكم توجهوننا لمحبيكم وتلاميذكم في مركز تفسير للدراسات القرآنية،

الجواب: لا أعظم من أن أقول لنفسي ولإخواني من أن أعظم شيء القرآن، وكلام الله جل وعلا هو أعظم ما يتقرب به إليه.

كيف هو علم نتعلمه ونعلمه فيا بشرى من علم الناس يحبه الله جل وعلا ورسوله وهو القرآن، واليوم ليس مجال أنصاف حلول في العلم، إما أنك تجد وتحرص على علم نافع قوي بحسب ما آتاك الله من القدر والمواهب؛ لكن تجد أن تكون قد تيقنت مما تعلمته، وهذا هو المطلوب أن تتيقن مما تعلمناه،

وأن لا نتعلم نصف علم.

فإن الذين يضرون الشريعة اليوم ويضرون في فهم الإسلام، وينسبون للدين ما ليس له هم من يكتفون بالنصف، يعلمون شيئاً قد غابت عنهم أشياء، وهذا لا تبرأ الذمة بأن الإنسان عنده القدرة على أن يبحث وهو مقصر اكتفاءً بما تعلم.

الواحد تعلم في الكلية ثم بعد العمر نسي نصفه يصلح يتصدر للناس؟ أو يراجع مراجعات خفيفة؟! لا بد من تعمق لأنك أنت تنقل عن الله جل وعلا، العلم ليس سهلاً، والأمة بحاجة إلى علماء كثير جداً، يعني كم عدد الأمة؟ مليار وخمسمائة مليون، كم نحتاج لهم من العلماء؟ كم نحتاج من المتخصصين يعلم شيئاً فيدعو إليه.

الله جل وعلا أمرنا أن نتبع وأن نكون مبلغين، فالتبليغ لا يكون بجهل، يكون بعلم، لا بد من العلم الرايخ بقدر استطاعة المرء فيعلم الله منك أنك بذلت جهدك.

وهنا شيء ينتبه له الإخوة، وهو أن العلم له عقد وله ملح، لا يبالغ في الملح في العلم وتنسى الأصول؛ مثلاً عنده أساسيات لكن بالغ في البحوث التفصيلية حتى نسي الأصل، لا يصير هذا.

لا بد أن يكون دائماً معك رأس المال العلم الأساسي الذي تعلمه، لا تبحث في أمور تفصيلية من ملح العلم، مثلاً يبحث رسالة البحث طويل الجبال أو الرجال في القرآن وينسى علوم القرآن الأساسية التي يحتاجها، أو يأتي في مسألة شرحت الطهارة في عشرين مجلداً والفقهاء كله؟ أو نحو ذلك.

هذا لا بد من رعايته لا ننساق وراء رغبة في ذلك، العلم عقد وملح، خذ من الملح ما ينشطك للثبات على معرفة العقد.

اليوم في العلوم جاء ما يصد عنها، وهي فرصة، وهي الوسائل الحديثة، اليوم بالغ طلبة العلم في رؤية وسائل التواصل الجديدة من تويتر ويوتيوب، ويرون في القنوات.. إلى متى؟ خذ منها قدر الحاجة؛ لكن العلم هو الأساس، ستفقد العلم شيئاً فشيئاً فكيف إذا صار هجمة متنوعة من كل جهة وأنت من بحر في بحر من بر في بر؛ تضيع في الصحراء.

الآن تويتر حركة ناس ببلايين البشر في العالم، تتبع كل هذا العام، هذا لا يليق، حتى من ناحية السمات، أو من ناحية المروءة الواحد ما يتبع ناس عنده جنبه، أمم من الناس جنبه وبعيدين، لا يليق إلا

لقدر الحاجة لنصرة الدين.

أما لمجرد الأُنس هذا ليس أنسا مشروعا مع ملاحقة كلام الناس إلا ما فيه فائدة، فإذا كان تعود هذه على علم الرجل بالتأثير أو بالضعف أو على عبادته أو تعبدته أو خشيته، هذا مصيبة أخرى يجب أن نرعوي بسببها. والله أعلم.

د. عبد الرحمن: كما قال أحمد شوقي في ختام هذا اللقاء:

قد يهون العمر إلا ساعة
وتهون الأرض إلا موضعا
كانت ساعة ماعة مع معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ أستاذ الدراسات القرآنية ووزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، تحدث فيها عن مدخل عميق معمق في دراسات إعجاز القرآن، أرجو بإذن الله تعالى أن ننتفع به، وأن نراجع، وأن يكون إن شاء الله مكتوبا مطبوعا منقحا في المستقبل.

شكر الله لكم معالي الشيخ تلبية هذه الدعوة، وشكر لكم جميعا أيها الإخوة حضوركم.
ونسأل الله سبحانه وتعالى أن كما جمعنا في هذا المكان أن يجمعنا في جنات النعيم، وأن يجعلنا جميعا من عباده المخلصين، وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.